المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

أثر المقدس والديني على ذهنية الفرد والمجتمع واستعمالات السلطة
The effect of religious sacredness on society and the role of authority

الباحثة: صافية مناد *

تاريخ الإرسال: 25 /06/ 2020	تاريخ القبول: 11 /07/ 2020	تاريخ النشر: 01 / 08/ 2020

ملخص:

الغاية من المعرفة الدينية التاريخية هي مساهمة الفكر في تطوير الواقع وحل مشكلاته ،وفتح سبل التطوير للبحث في العلاقة بين الدين والواقع من ناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية،فالتاريخ نظرية للعمل والتراث صورة للتاريخ فهو ثورة اجتماعية دورية ،مثل الموروث بكل تصنيفاته ومجالاته التي وضعت صلة الدين بالسلطة وهي صلة مباشرة بالتاريخ الوضعي الذي يلزم تحليل الواقع تحليلا مباشرا بلا تنظير راجع الى علاقة الايديولوجيا بالتراث أي بين الموروث الديني والفعل السياسي كحدث أنطولوجي للمعرفة.

الكلمات المفتاحية: النص الديني؛ المقدس؛ الايديولوجيا؛ الانطولوجيا؛ المجتمع؛ الظاهرة التاريخية .

Summary :

The purpose of historical religious knowledge is the contribution of thought to developing reality, solving its problems, opening avenues for development and understanding the relationship between religion and reality in terms of social, economic, political and cultural. We also find this in history as a theory of work and heritage as an image of history, it is an authoritarian social revolution.

Keywords : Religious text; Ideology; Ontology; the society; Historical phenomenon.

* صافية مناد،باحثة دكتوراه فلسفة إسلامية وحضارة معاصرة ،مخبر الأبعاد القيمية ،قسم فلسفة ،جامعة وهران2 ، safi_a_488@hotmail.fr

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة:

إنّ التداخل بين الدينيّ و السياسيّ ليس بالفكرة الجديدة على البشرية وإنما يجد دعامته الأولى في سياق آليّة حضاريّة عامّة تؤسّس هذا الترابط في الأنظمة السياسيّة القديمة للبلاد الواقعة في منطقة ما بين النهرين، و في كلّ أشكال التنظيم السياسيّ التي عرفها التاريخ القديم . ونحن عندما نعود لإشكالية العلاقة بين الدينيّ والسياسيّ في التجربة التأسيسيّة الأولى للدولة في الإسلام، أي تجربة الرسول في المدينة، يمكن تتبع هذا التداخل(أو التوظيف) فبعد هجرة النبي إلى المدينة بدأت معالم التحول تظهر شيئا فشيء لتظهر معه نواة الدولة الإسلامية في المدينة،وتوضع لها المبادئ الأساسية وأسس العلاقات الخارجية وشؤون الحرب".

لم يكن هناك انفصال بين الديني والسياسية في التجربة الإسلامية في بناء الدولة فلقد كانت الدولة تستمد شريعيتها من الديني وكانت جزء من بناء شامل لفكرة الحكم بفعل الخلافة والإمامة فلم يكن بالإمكان إدراك السياسي خارج دائرة الديني لانها كانت مشكلة سلطة لا سيادة بداية هذه المدينة (الدولة) التي وضعت أسسها أيام مؤسسها الأول فدبت في أركانها معالم هزات سياسية بفعل ذلك الصراع الذي دار بين المسلمين- "فكرا ـ و سيفا"، وادعت كل فرقة أحقيتها في الحكم والخلافة، وأصبحت المدينة النموذج- مدينة النبي مهددة، " فالخلافات التي ظهرت للعلن منذ حادثة سقيفة بني ساعدة بداية لتشكل السياسي الديني خارج دائرة المذهب الواحد لأنه كان منبع لتشكل المذاهب الإسلامية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في 12 من ربيع الأول العام الحادي عشر من الهجرة فكانت بداية وصول لحرب التي وقعت بين علي ومعاوية على الإمارة ، وما انجر عنها من نتائج على اختلاف الروايات ،أثرت بعد ذلك على كل التاريخ السياسي الإسلامي اللاحق،حيث أصبحت معضلات الإمامة والسياسة واقعا يطرح نفسه،وولّد مفاهيم لعبت دورا هاما في رسم حدود خطاب سياسي الذي استثمر الدين لخدمة السياسة كما استخدم السياسة لحراسة الدين وتوظيفه حسب ما يخدم توجهات السلطة السياسية وتثبيت ملكها.

انطلاقا من هذه المقدمة سوف نستعرض من خلال بحثنا هذا مسألة تداخل الديني والسياسي في التجربة الإسلامية. في محاولة لإبراز تمفصلات توظيف النص الديني وكيفية قراءته في سياق التجربة التاريخية والفكرية والمعرفية الإسلامية منذ نواتها الأولى وما انجر على هذا التداخل من هزات مازلنا نعاني تبعاتها اليوم. فعلى ماذا تقوم المعرفة الدينية التاريخية؟ وكيف أثّرت الايدولوجيا على المجتمع ؟وما هي علاقة السلطة بالدين ؟.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

1_المعرفة الدينية التاريخية :

المعرفة التاريخية تقدم رؤية جديدة عن الفكر النقدي والتاريخي حيث تصطدم في كل مرة بفكر التقليدي الذي رسخه الزمن وكرسته القرون على أساس النقد التاريخي وإحلال الصورة الحقيقية محل الصور الأسطورية فيما يخص كل مسألة من مسائل المعرفة التاريخية، فإمكانية تحرّر التّاريخ من مظلّة ما بعد الحداثية للمعرفة تعد نقدا يلزم إعادة قراءة وكتابة للتاريخ ووضع نسق يحكم التحليل النقدي،لأنّ علاقة التاريخ بما بعد الحداثة علاقة لا يمكن استقصاؤها فهي متصلة بتيارات الفكر المعاصر كحتمية عقلانية... يبحث المعرفة التاريخية ضمن قضايا المجتمع ومسائله المشتركة بين الدين والإنسان والعلوم الأخرى في كل مجالات الفكر،حسب ما "يجتاح كل كائن بشري،بوصف هذا الكائن يتعطش للإمتلاء بالوجود،كي يتخلص من الهشاشة،ويجعل حياته ممكنة في هذا العالم الغارق بالألم والأوجاع،وتكون له القدرة على العيش بأقل ما يمكن من المرارات والأحزان،ويخرج من حالة القلق إلى السكينة ومن اللامعنى إلى المعنى،ومن السوداوية إلى النور،" [1] لعل ذلك يقصد به اهتمام بالتجارب الدينية وعلى إختلافها تجعل الإنسان على أرضية ارتواء الظمأ للمقدس وهو ما يجعل الإلهي يتمثل للبشري تختلف فقط مستويات الارتواء حسب قدرته على المثول في حضرة الله.

تمثل لدى الإنسان بصفة عامة وعلى علاقة بالواقع بما يسمى بالإيمان،الذي يشكل منبع الحياة الروحية وراحتها وحتى علاقتها بالواقع اليومي سواء على مستوى الفرد أو المجتمع فهو له حيثيات كبيرة وتأثيرات أكبر و التجربة الدينية تمثل البعد الأنطولوجي في الدين والوجود الإنساني الذي يتحقق بفعل ثلاثية (التفكير والذات والمجتمع) والتي ترتبط مباشرة بالعقل وعلوم الانسان والمجتمع ،فلا يمكن ان يتحقق حيزا أنطولوجيا للإنسان دون فهم الدين،وليس هناك "فهم للدين خارج ذات الكائن البشري ورؤيته للعالم ومعادلات الواقع الذي يعيش فيه.

وطالما فرضت معادلات الواقع على كل ديانة انتاج نسخها المضادة. ولا يمكن أن تحمي الديانة نفسها من تزوير النسخ المضادة وتزييفها إلا بالكفّ عن استبعاد العقل في فهم الدين وتفسير تمثلاته في حياة الفرد والمجتمع،واعتماد العقل مرجعية في اختبار صحة معتقدات الديانة وقبولها،ومواكبة الديانة لمعطيات العلوم والمعارف ،وتوظيفها في إعادة اكتشاف ما تبدّد من معناها الروحي ورسالتها الأخلاقية"[2].

[1] _عبد الجبار الرفاعي ،حوار مع المفكر عبد الجبار الرفاعي ،صحيفة العالم الجديد، 5 اذار 2015.https://al-aalem.com/news/ أطلع عليه بتاريخ 2020/05/16.

[2] _ عبد الجبار الرفاعي، الدين والإغتراب الميتافيزيقي ،مركز دراسات فلسفة الدين،بغداد ،ط 1 ،2018،ص 25،26

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ينبثق عن ذلك كل الصور الإيجابية والسلبية عن الدين التي تعتبر جوهره وروحه وباطنه وعمقه على مدى التاريخ، وهي ماتسمى بالتجربة الجوانية التي تكون غاطسة في الذات ومتماهية معها بفعل المعرفة التاريخية،وتقابلاتها الخارجية التي تكون عكسها أحيانا كما نشير عند بعض رجال الدين ما يمارس من طقوس وشعائر وباطنهم بعيد عن الله، فيتلون فهم الدين ويتأثر بفضاءات مختلفة عنه،فضلا عن ذلك نميز "بين الدين والتدين، الإيمان والتدين، الدين والحياة الروحية، تمثلات الدين الفردية والإجتماعة وجوهر الدين حين نتحدث عن الدين هنا "البعد الانطولوجي الذي يتمثل في الإيمان، الحياة الروحية، والحياة الأخلاقية، جوهر الدين ، فالدين يعطي للفكر المعاصر وظيفة إجتماعية حينما يتمثل في كل تجاربه الحفرية الجيولوجية وحتى الأركيولوجية.

فصورة الدين في كل المجتمعات تشوبه بفضل إختلاط الدين بكل شيء؛نقول أنّ الخلط السلبي من حيث الموضوعات وحتى الفهم إذ يختلط الدين بالعلم والعلم بالدين من حيث الوظفية ويختلط الدين بالشعر والشعر بالدين من حيث النص،ويختلط الدين بالفن والفن بالدين من حيث السياق، ويختلط الدين بالقبيلة والقبيلة بالدين من حيث السلطة،ويختلط الدين بالعادات والتقاليد والتقاليد والعادات بالدين من حيث القداسة،ويختلط الفلسفة بالدين والدين بالفلسفة من حيث المنهج،كل هذا اللبس وإلتباس يعالجه المفكر المعاصر من حيث الوظيفة والغاية، فتلزمه تحويل الدين من موت إلى حياة من داء الى دواء ،فتكون غاية الخلط في الفهم مواضيعه وخدمة مجال للآخر على مستوى الإنسان اولا وثم على مستوى المعرفة ثانيا.

يستعمل بعضهم الوسطية للتخلص من مأزق الراهن للتفكير الديني في عالم الاسلام وتعد من المسكنات المؤقتة للعقل، "فنحتاج اليوم الى عملية تفطير جسورة تستأنف نصاب العقل في التفكير الديني،كي يفضح اللامعقول في فهم الدين، ويجري حفريات على التراث التاريخي لتخترق بنيته التحتية وتكتشف الروافد العميقة لتشكيله،فتتعرف على أنساقه المضمرة التي تعيد إنتاج مكوناته،ويفكك المعرفة الدينية المنتجة في سياقات الإستحواذ على السلطة السياسية والروحية والهيمنة على أشكال الثروة المادية والرمزية المختلفة،فالوسطية بمعناها الجديد ليست خيارا للخلاص" [1]، فمن يريد الانتماء لحاضره له ذلك ومن يريد بقاء قيد انتماء للماضي والتاريخ ايضا له ذلك وهو واضح لكلاهما،دون حاجة لإسقاط ذلك على نصوص الدينية والتراث،فذلك يحدث تشويه للفهم واضطراب للرؤية الفكرية.

[1] _ المرجع نفسه،ص28.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

2_المقدس والمجتمع:

تمثلات الدين في الواقع يعتبر من أساس إنتقال الدين من الإلهي إلى الإنساني من منهاج تقليدي إلى علمي عملي،"فالكثير من الإلتباسات في التفكير الديني، تنشأ من خلط المفاهيم وإبهامها ومن غموض التسميات الدين ظاهرة بشرية، هي الأعمق في حياة الإنسان، والأشد غموضا، في الوقت الذي تبدو فيه الأشد وضوحا ،لولا غموضها لما لبثت منذ فجر التاريخ حتى اليوم،لا تكف عن الحضور في الجدالات والنقاشات والكتابات والنزاعات والصراعات والحروب" [1]، فإدراك الدين أو للفهم المقدس وتفسير جوهر النص وإرجاعه لحقله الطبيعي يمكنه أن يبني حياة الأخلاقية للذات ويحقق الكينونة الباطنية للذات ويجسد لأثر المعرفة الدينية التاريخية في المجتمع.

أما في الواقع المعاصر تجتاح الفكر الديني موجة تعصب تجعل من الإنسان في حالة تيه بين المقدس والمفسر والواقع والعالم، فيسقط في عالم التمويه والخداع والاستغلال،واللامعنى الذي يفضي إلى الضياع ولا نحسب أنّ هناك منبعا تستقي منه الروح البشرية المعنى أخصب من الدين،"الدين هو المنهل لإرواء الفكر والمعرفة،وهو المنبع لإثراء الحياة الروحية" [2].وهي مهمة وجودية للفكر،فلقد ينشأ الفهم الخاطئ للنص تصور عن الله تصورا لاهوتيا صراطيا أو مايسمى بلاهوت الإسترقاق، "وهذا اللاهوت بطبيعته ينسج شباكا معقدة لمختلف أنماط العبوديات التي تكبل حياة الشخص البشري، عبر إنتاج الإستبداد والنظام الأبوي العمودي في مختلف مستويات الإجتماع البشري، من العائلة والقبيلة إلى المدرسة والحزب والدولة " [3]،فهو هنا يرصد المقدس بإعتباره لاهوتا صراطيا يحد ويصادر حرية الإنسان ويكرس العبودية ويحجب لاهوت الرحمة والمحبة، ففهم تلك العلاقة تتمحور حول الإنسان والبحث في نمط العلاقة بين الله والإنسان هل هي مسدودة ومحدودة حتى تفضي إلى الإلحاد؟ وهي موجة عرفها الفكر من القدم وعرفت حيثيات تجديدية في الفكر المعاصر،وإن كانت تبدوا أنّها عملية تدين زائف أو فهم خاطئ فالشخص البشري بطبيعته ينفر ممن يستعبده،ويمقت من ينتهك كرامته ويكره من يمتهنه.

فالعلاقة بين الإنسان والمقدس أو بين الإنسان والله بصفة خاصة وجب أن تكون علاقة محبة لا علاقة خوف وصراع ، أي كما يقول المفكر عبد الجبار الرفاعي أنها ينبغي أن تكون علاقة مبنية على

[1] _ عبد الجبار الرفاعي،الدين والظما الانطولوجي، مركز دراسات فلسفة الدين، ط 3، بغداد، 2018.،ص163

[2] _ المرجع نفسه،ص 164.

[3] _ عبد الجبار الرفاعي،علم الكلام الجديد، مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل الدين والعلم، دار الهادي لبنان، ط 1 ،2002. ص30

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

حرية وإختيار،لا على إكراه وإمتهان، ((وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)) [1]، "فالنمط العمودي للعلاقة بين الله والإنسان، الذي قوامه التربية على الخوف يجد مدلوله الإجتماعي في مختلف أشكال العلاقات السياسية والإجتماعية والإقتصادية في المجتمع" [2]، وهو مايجعل الانسان في نفور دائم من السلطة الأبوية التي رافقها الظلم والإستبداد بإسم الدين.

فكل شيء نمنحه بعدا قيميا يتجاوز وجودنا الأنطولوجي كبشر، فهو مقدس"فالإنسان يصنع مقدساته أنه يختلقها ويلفقها،بل بمعنى أن تكوين أي فكرة عن ماهو مقدس إنما يخضع لفهم الإنسان ونظريته بشأن وجوده ووجود العالم الذي يحيا فيه " [3]،هنا نجد كل صور المقدس وتمثلاته تتغير حسب ثقافة الإنسان وواقعه المعيش وحتى داخل المجتمع القوقعي الذي بداخله وحتى نوع السلطة التي تحكمه والثقافة التي اكتسبها والعادات التي تربى عليها فكلها تمثلات لواقع يؤسس لعالم تقديسي ، ففضاء المقدس يعد مفتوحا وغير متناهي يتعدد بتعدد الروايات التاريخية والثقافات والجغرافيا البشرية وهذا ضمن أنثربولوجيا الدين، وسوسيولوجيا الدين وعلم نفس الدين والهرمنيوطيقا.

"فالمقدس ظاهرة أبدية موجودة في الحياة البشرية، وإحدى البنى العميقة في الوعي واللاوعي البشري في التاريخ الفكري،حتى المجتمعات شديدة العلمنة إذ صح التعبير لا يمكن أن تغادر المقدس،لأنه موجود في بنيتها العميقة، ونجد دائما تعبيراته في حياتها" [4]، فالإنسان كائن متدين والدين ظاهرة واكبت التاريخ البشري منذ وجوده الأول، لذلك تظهر تجلياته ومظاهره في حياة الإنسان العملية، فيمثل الدين محرك الحياة مع مواكبة العقل البشري لكل تطورات العلم ومناهجه وقوانين الطبيعة وتفسيرها وإصطدام العقل بألغاز إستعصت على العقل فيعود بذلك إلى المقدس، يكتب مرسيا إلياد" (الإنسان غير الديني ينحدر من سلالة الإنسان الديني، وهو صنيعته أيضا، أراد ذلك أم لم يرد، وقد تكون إنطلاقا من أوضاع إتخذها أسلافه ...إن الإنسان الدنيوي،أراد ذلك أم لم يرد،لم يزل يحتفظ بآثار من سلوك الإنسان الديني،لكنها خالية من المعاني الدينية.مهما فعل فهو وارث،لا يستطيع أن يلغي ماضيه نهائيا مادام هو نفسه نتاجا لهذا الماضي ...الغالبية العظمى من الذين لا دين لهم ليسوا

[1]_الآية 157،سورة الأعراف،القرآن الكريم.

[2]_ عبد الجبار الرفاعي،علم الكلام الجديد، المرجع السابق،ص32

[3]_ عبد الجبار الرفاعي،انقاذ النزعة الانسانية في الدين مركز دراسات فلسفة الدين، دار التنوير،بغداد،ط 2 ،2013،ص22

[4]_المرجع نفسه،ص22

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

متحررين تماما من المسلك الديني، من اللاهوت والميثولوجيا نفهم أحيانا مثقلون بكل (لخبطة) سحرية- دينية، لكنها منحطة إلى درجة الكاريكاتور،ولهذا كان من الصعب التعرف عليها)"[1].

فحاجة الإنسان للدين كحاجته لوجوده الأنطولوجي تنبثق من أعماقه حتى لو واجه كل الظواهر المناهضة للدين فهي موجات مؤقتة لطالما تضمحل، ففي القرن التاسع عشر تحدث فيورباخ وماركس ونيتشه وغيرهم عن غياب الإله أو موت الله حسب مقولة نيتشه ،غير أن الله إنتقم لنفسه في القرن الحادي وعشرون ،عاد الإيمان كما قال أندريه مالرو"(إن القرن الحادي والعشرين سوف يكون روحيا أو دينيا، أو أنه لن يكون)[2] ،ربما يكون إنتهى التصور القروسطي للإله لكنه لايزال حي وموجود في الفكر والفهم،مما يؤدي إلى الفقر الأنطولوجي للذات الانسانية، بإعتبار الدين مشروع بشري يخلق كون مقدس للانسان فهو أيضا يلزم بتحرير المقدس من الفهم المتوحش .

فمفهوم الله ينتمي الى الأخلاق أي الى الواقع المعيش الملامس للتركيبة المجتمع فحسب الإيمان عند كانط،الفهم غير بريء للدين يحدد ترحيل البروتستانتية الإسلامية للدين من الأنطولوجيا إلى الإيديولجيا، وحاجة الإنسان للأنطولوجيا أكثر من الإيديولوجيا المسيسة، فيخرج الدين من حقله الطبيعي الخاص إلى حقل الوهم العام، هنا لا يتم إرتواء الإنسان بذاته الإيمانية من الوجود والكينونة التي تحدد معنى لحياته بقدرة الدين على إشباعها، فتتمثل عملية تغيير الذات جدلية بين الباطن والخارج ((الروح والجسد))، فالتجديد يطال المباحث التي لها علاقة بالذات الإنسانية لأن الإنسان كمبحث معرفي كان مغيبا تماما؛ فالتجديد لازم التطور الحضاري "مثلما تهمل ثقافتنا البعد الأنطولوجي للكائن البشري ومتطلباته العميقة، يضيع ذلك الكائن ويتخبط في متاهات "[3].

فالدين يعمل على إرواء الظمأ الأنطولوجي بغية ترحيل المعرفة الدينية ،بين دين الأنطولوجيا ودين الإيديولوجيا التي تحدد ماهية المعرفة الدينية؛ " دين الإيديولولجيا بمعنى أنه يصوغ رؤية لله والإنسان والعالم وفهما للدين، تبنى وتشاد عليه مرتكزات الإيديولوجيا، الجماعات الإسلامية كافة تنسج شباكها في سياق رؤية المتكلم لله والإنسان والعالم، وشيئ من فتاوى الفقيه، ولا تقترب من ميراث سواهم، كالفيلسوف والعارف والمتصوف،لأن الفيلسوف والعارف والمتصوف فيلسوف دين الأنطولوجيا "[4].

---

[1] _ عبد الجبار الرفاعي ،انقاذ النزعة الانسانية في الدين،مجلة قضايا اسلامية معاصرة ،العدد 35_36، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد،2008ص06.

[2] _ المرجع نفسه،ص6

[3] _ المرجع نفسه،ص20

[4] _ عبد الجبار الرفاعي،الدين والظما الانطولوجي ،المرجع السابق ص 174.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

"فالشغف الإنسان بالتفتيش عن المعنى لا يتوقف مادام حيا، ولا ينجز ذلك إلا الإمتلاء الأنطولوجي"[1]، والبحث في فلسفة الدين الذي يعطي معرفة عميقة للدين والنص يمكن أن يرتوي بها الظمأ الأنطولوجي للروح البشرية.فحاجة الإنسان للمعنى تعبر عن ظمئه الأنطولوجي كما يقول مارتن هايدغر: إن الإنسان هو الكائن المسكون بمشكلة منح معنى للوجود"[2]

فالنصوص المقدسة أو معطيات الوحي تؤسس لظاهر تعارضي بين باطن النص وخارجه،بين مايفهم ومايجب ان يفهم فيحتاج الفهم لأرضية مناسبة ترعى حق الاختلاف وتؤمن بالتعددية الفكرية،معتمدا في ذلك على العقل،"فالتدين العقلاني كالأوكسجين المتغلغل في كل واحدة من خلايا الجسم لابد أن ينفذ إلى كل جزء من أجزاء حياة الإنسان،فيمثل بالنسبة له (فلسفة حياة) شاملة "[3]،فالنصوص الدينية عليها أن تتماثل مع العلوم والمعارف البشرية.الخلط الذي يحصل في فهم الدين ففهم الحياة الروحية والأخلاقية والعقلية ؛يمكن أن ينتقل بدين من دين الإيديولوجيا الى دين الأنطولوجيا ويمكن أن يسمى (بلاهوت التحرير).

فالوظيفة الأساسية للقيم الروحية والأخلاقية أنها تشبع الفقر الوجودي للإنسان،وتروي الظمأ الذي يعيشه "كل كائن بشري للمقدس،فتكرس كينونته،وتلهمه القوة،وتمنح إرادته توترا وصلابة، والقيم الأخلاقية تعمل على إقامة بناء سليم للروابط الإجتماعية وتجعل العلاقة بالآخر عادلة،تنشد خير البشرية وأمنها وسلامها،لكن القيم الأخلاقية لاتثري الفقر الوجودي للكينونة البشرية ولا تروي الظمأ المزمن للمقدس الذي ترويه القيم الروحية، لذلك أضحى المقدس منبعا لأمن النفس وسكينة الروح وطمأنينة القلب" [4]،وهذا ما لانجده في الظاهرة(المعرفة) التاريخية باعتبارها حدث تاريخي مفتقرا للقيم الأخلاقية كمبحث تفكيري خاص بالإنسان، لهذا هو مفتقر للقيم الوجودية لكينونة البشر، فالقيم الروحية والأخلاقية تخفف مواجع الحياة ونكباتها وتؤسس للإيمان عن طريق الحب الذي يجعل القلوب جوهرا نفسيا. فالفكر الإسلامي المعاصر لم يعد أرضية فطرية للمحبة وإنما أصبح مليء بالشوائب التطرف والتعصب والطائفية وللإنسانية بإسم المقدس أو النص القرآني او الفهم وكلها تأسيسات وهمية لإيديولوجيا معين اكثرها عنصرية مليئة بالكراهية وهدا مايقف بوجه تأسيس عالم إنساني اساسه المحبة و قراءة التاريخ بشجاعة والكشف عن مغالطات لازال الحاضر يحملها عن

[1] _ المرجع نفسه،ص22

[2] _ عبد الجبار الرفاعي،انقاذ النزعة الانسانية في الدين،المرجع السابق.ص26.

[3] _ مصطفى مليكيان ،التدين العقلاني، مجلة قضايا اسلامية معاصرة ،العدد 20 ،21، مركز دراسات فلسفة الدين،بغداد ،2002ص5.

[4] _ عبد الجبار الرفاعي،علم الكلام والحياة الاخلاقية،صحيفة المثقف،،مؤسسة المثقف العربي،العدد 13،2018-02-4179

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الماضي فلا يمكن انتاج مجتمع سوي دون ان نقطع حبل القيم المقيتة التي تتحكم بالانسان من كراهية وعنصرية وغيرها ،لذلك اصبحت المجتمعات داخل عالم التيه ضعيفة البناء والانسان محجور في تفاهته المقيتة البعيدة عن كينونته الانسانية.

يقول أيضا الرفاعي الدين هو الحب والحب هو الدين في علاقة المقدس بالظمأ الأنطولوجي،فالدين هو محبة الله، والحب الالهي هو ما يرتوي به المرء أنطولوجيا،فالتدين المفرغ من المعنوية والفارغ أنطولوجيا ومعدم الكينونة أنهك الإنسان وإستنزف إيمانه،فخلع عنه المعنى الذي هو رابطة الذات بالدين.

3- الايديولوجية الفكرية و المعرفة التاريخية:

حاجة الإنسان للمكون الانطولوجي باعتباره مكون عميق لوجود الكائن البشري وهو نداء الكينونة، الذي ينجز من خلاله الدين لوعوده اتجاه الانسان ووظيفته اتجاه المجتمع،على مختلف المستويات سواء الثقافية أو السلوكية، فالتدين يتحقق على مستويين (تدين روحاني أخلاقي الذي يضم حياة روحية ملهمة وحياة أخلاقية ملهمة وتذوق لجماليات العالم و مستوى الثاني وهو تدين ظاهري شكلي)،ما يشكل لنا إلازدواجية،فالحديث عن الأديان بصفة عامة ودورها في بناء الذات الإنسانية والمجتمعات وغايتها الأساسية في بناء جسر بين الديني والدنيوي بين البشري والإلهي سواء عن طريق النص وفهمه أو عن طريق الإيمان والتجربة الدينية.

فأنتجت بذلك لنا السلطة الأبوية للنص والدوغمائية للفهم والقروسطية للذات، أصبحت الذات الإنسانية وليدة سياجات متعصبة خالية من الروح مما أظهر كل صور الكفر والإلحاد،فجعلت العالم قدسيا بصورة أبدية أفقدت بذلك قدسية العقيدة "فيريد بذلك الدين التدخل والعمل في المجالات العامة سيغدو عقيما بنفس درجة الإيديولوجيات العلمانية التي يتقصد مناهضتها والقضاء عليها؛ عموما يمكن القول أنّ الأديان ورطت نفسها في أمور خارج صلاحيتها، أن من الناحية التاريخية، وأن من الجنبة النفسية ...،فالدين بهذه الصورة يخسر قدسيته ويتحول إلى شيء عادي منزوع الهيبة إذا كانت ثمة معنوية وروحانية ،فهي وليدة الروح وحسب وصنيعة مايسميه رودولف أوتو ((عرفان الروح)) أنه عرفان لا شأن له بالقواعد الفقهية، ولا صلة له بجياتنا الشخصية " [1]،فيكتمل بعلاقة المقدس بالسياسي أي أنّه يعيش في حقبة الأنطولوجيا المهمشة .

[1] _ داريوش شايغان ،الانطولوجيا المهمشة ،مجلة قضايا اسلامية معاصرة ،العدد 26، مركز دراسات فلسفة الدين،بغداد ،2004ص164

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

فالمعتقد وفهمه يتيح لولادة كل التوجهات المختلفة، فالمعرفة التاريخية وماتحمله من عقائد كما علم الكلام باعتباره علما عقائديا يملك "المساهمة الكبرى في التمثيل العام للإيدولوجيا الإسلامية [1] ،على أساس أن الإيديولوجيا هي الوجود الواعي للأمة، من حيث هي مجموعة الأفكار المبدئية العامة لكل جماعة معينة بشأن أصولها وأهدافها ومعاييرها وقيمها ومصالحها الحضارية " [2]؛ فالدين هو دائما إيديولوجيا من حيث نسق الفهم للمعتقد الذي ينتج عنه الفهم التعبوي الذي ينعدم فيه التفكير والسؤال .

فالأديان تسعى لمناهضة الظلم والتسلط والإستبداد وعبر"عن لاهوت التحرير في القرن العشرين جماعة من رجال الدين والكنائس في أمريكا اللاتينية بعد أن عملوا على إكتشاف المضمون الاجتماعي الثوري للعقيدة وتوظيفها في مقاومة الإستعمار، وإعتمادها كمرجعية في النضال والتحرير،فنشأ لاهوت التحرير كإيديولوجية ثورية تحررية شعبية للجماهير،تربط بين الدين والثورة،والإيمان والعدالة، والله والشعب والعقائد والمطالب الإجتماعية،والوحي من ناحية والحرية والإخاء والمساواة من ناحية أخرى "[3].

[1] _ الايديولوجيا :وفق استخدامها الأصلي ،الايديولوجي هي علم الأفكار العام ،علم عناصرها وعلاقتها دست دي تريسي 1754_1836،رغم ان الاهتمام بالايديولوجيا بهذا المعنى ظل قائما ـ حيث إتسم أحيانا بصبغة أكثر قبلية ،واحيانا اخرى أكثر سوسيولوجية ـربما يتعين أكثر الاستخدامات أهمية في الفلسفة وعلم السياسية المعاصرين في دلالة أكثر قصرا وقيمية ،حيث تصير الى مجموعة من المعتقدات والقيم يتبناه فرد او جماعة لاسباب ليست ابستمولوجية ،مثال الايديولوجية البرجوزاية ،الايديولوجية القومية ،او الايديولوجية الجنسية ،وعادة مايشتمل الاستخدام القمي لهذا المصطلح على عنصرين اولا اسلوب بعينه في التفسير حيث يعزى سواد معتقدات وقيم بعينها (بدرجة كبيرة) الى دور غير ابستمولوجي تقوم به نسبة الى الافراد ...اما ثانيا فهو اسلوب بعينه في النقد يوظف في الارتياب في المعتقدات والقيم عبر طرح هذا النوع من التفسير الرمزي السوسيولوجي او المؤسس على مصالح لسواد تلك المعتقدات والقيم وهو تفسير يتميز بجهل المعتقدين أنفسهم اياه ، للمزيد أنظر ،تدهوندرتش دليل أكسفورد للفلسفة ،ترجمة نجيب الحصادي ،ج1،من أ الى ط،المكتب الوطني للبحث والتطوير ،ليبيا ،ص 129

[2] _ يمنى طريف الخولي ،الطبيعيات في علم الكلام ،(من الماضي الى المستقبل)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995. ص29.

[3] _ عبد الجبار الرفاعي،اختزال الدين في الايديولوجيا لاهوت التحرير عند علي شريعتي وحسن حنفي ،قضايا اسلامية معاصرة ،العدد 49_50. مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد،2012.ص105

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

4_الدين والسلطة (أثر الإيديولوجيا على بناء المجتمع):

الإيديولوجيا اليوم لها الدور نفسه لميثولوجيا التاريخ، فهي إيديولوجيا دوغمائية ترضي الروح الإنفعالية دون منطق عقلي ولا علمي ولا فلسفي،"فإنها ليست في الحقيقة علما ولا فلسفة ولا دينا"[1]،فدين الإيديولوجيا يضرب كل من يكذب مبادئه،"فهو يسخر حياتك وطاقتك ومواهبك لتخدمه ويفرض عليك حدوده واطاره وأسيجته،التي إن تخطيتها يصادر عليك دنياك وآخرتك" [2]؛وحاجة الإنسان اليوم غير ذلك فهو بحاجة لدين يخدمه ويمنح حرية التفكير لعقله دين يمحوا الكراهية والتطرف والتسلط يطهر الروح من الخطايا ،فدين الإيديولوجي فارغ من الأبعاد الإنسانية ومنطقه عنيد وإختزالي.

فالايديولوجيا هي عقيدة تحدد الإتجاه الإجتماعي والوطني والطبقي للإنسان،وتفسر نظامه القيمي والإجتماعي،وشكل الحياة،والوضع المثالي للفرد والمجتمع،والحياة الإنسانية بكل أبعاده،لكن ماهي حدود الإيديولوجيا ؟ يجيب عن ذلك على شريعتي: "الإيديولوجيا تهدي للإنسان ما تمنحه له الإمكانات التقنية تماما، مالتقنية إلا مجموعة الجهود الإنسانية الرامية إلى توظيف الطبيعة لتحطيم هيمنتها وجبرها،وفرض إحتياجاتنا عليها، الإيديولوجيا تقنية يستعين الإنسان بها وبالمعرفة لتوظيف التاريخ والمجتمع حسب ما يشاء" [3]،فالإيديولوجيا تقنية بالنسبة لشريعتي وهي ما توضح تأثره بلاهوت التحرير في دعوتهم لتحويل الدين إلى إيديولوجيا مناهضة الإستعمار وتحرير الأرض وتنمية المجتمع وغيرها، من مشاغل اللاهوت الكلاسيكي، هذا ما نقده عبد الجبار الرفاعي للإيديولوجيا شريعتي التي تحول المثقف إلى تغير العالم دون تفسيره وفهمه فهي هنا أداة لبناء مجتمع مغلق ومقلد .

فإنتقال الإسلام من ثقافة إلى إيديولوجيا يوضح تأثير شريعتي بتفسير ماركسي لبعض الآيات فأسقط المادية التاريخية على القصص القرآني، ففسر المجتمع على طبقات متصارعة إعتقاديا وثقافيا وسياسيا، فالثورة تقوم على تناقض ديالتيكي،فيصبح فكر بلا مكان.

فنحن بحاجة ماسة لعبور ميراث شريعتي، مثلما عبره وتجاوزه التفكير الديني،"وبحاجة أيضا لعبور التفكير الديني للمفكرين الإيديولوجيين من رواد البروتستانتية الإسلامية،في عالم الإسلامي في القرنين الأخيرين،ذلك أن مجتمعاتنا مسكون بنحت الأصنام البشرية، فالزعيم السياسي أو غيره

[1] _ داريوش شايغان ،مالثورة الدينية، المرجع السابق،ص 217

[2] _ عبد الجبار الرفاعي ،الدين والظما الانطولوجي، المرجع السابق،ص 117.

[3] _ المرجع نفسه،86_87

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

سرعان ما يتحول في الوجدان الشعبي إلى أسطورة خارقة للطبيعة البشرية،فيصاب بجنون العظمة، ويصدق أنه أضحى أسطورة وأنه الرجل الضرورة"[1].

فالتفكير الدوغمائي يولد أصنام بشرية والجهل المقدس، فيتحول الفكر إلى صنم ويكف عن التفكير في حين أن التفكير الديني الحديث مطالب بالإنتقال من الإيديولوجيا إلى الإبستمولوجيا وتحقيق وظيفة الأنطولوجية للدين .

فلاهوت التحرير عند كل من شريعتي وحسن حنفي،يختزل فيه الدين بالإيديولوجيا ويوضح وظيفة ومهمة الدين؛ فالإيديولوجيا أشد إعاقة للعقل وهي الأكثر حضورا وتأثيرا في حياة مختلف المجتمعات وهي عادة ما تبدل أسماءها كل مرة وتتخذ أقنعة تتلون حسب المعطيات الفكرية والدينية والسياسية السائدة في المجتمع، فهي تحجب الحقيقة وتنتج الوهم وتعطل العقل وتشييع البلاهة أنها يوتيوبيا الإيديولوجيا .

دعوة حسن حنفي وعلى شريعتي للإيديولوجيا بهدف أن الدين يحقق لتحقيق العدالة،وهو ما رفضه الرفاعي بقوله أنه لا يمكن أن يكون بأدلجة الدين لأن الأدلجة تفسد الدين والدين يتمحور هدفه في مايفشل العقل،فأدلجة الدين يجعل من كل ماهو دنيوي مقدسا فيضيع المقدس ويضمحل الدنيوي ويختنق فضاء الحرية ويكف العقل عقلا،"فالإيديولوجيا نسق مغلق يغذي الرأس بمصفوفة معتقدات ومفاهيم ومقولات نهائية،تعلن الحرب على أية فكرة لا تشبهها حتى تفضي إلى إنتاج نسخ متشابهة من البشر، وتجييش الجمهور على رأي واحد وموقف واحد وكأنها تتمثل قول فرعون ((قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيْلَ الرَّشَادْ[2]))"[3].

وذلك بالعمل على التخلص من الأدلجة الدين التي تعمل على إشاعة التقاليد وترسخ الدوغمائية والتفكير المغلق فهمها تدجين ونمذجة الشخص البشري،فتغلق بذلك كل الأسئلة الميتافيزيقية والعلمية لأنه يتم تقويض الفكر بتقديم إجابات نهائية،فكر تعبوي مليء بالتراجيديا الدموية.

نجد في القسم الأول من كتاب من "العقيدة إلى الثورة" لحسن حنفي الذي يتمحور حول لاهوت التحرير والذي يسرد في رؤيته لإعادة بناء علم الكلام وتجديده ، ويعتبر الإيديولوجيا مظهر

[1] _ عبد الجبار الرفاعي ،لا خلاص الا بالخلاص من (تدين الدنيوي) واعادة الدين الى حقله الطبيعي،حوار مع عبد الجبار الرفاعي ،رحيل دندش، صحيفة حريات ،24،2،2018.

[2] _الآية 29 ،سورة غافر القرآن الكريم.

[3] _ عبد الجبار الرفاعي ،لا خلاص الا بالخلاص من (تدين الدنيوي) واعادة الدين الى حقله الطبيعي المرجع السابق،ص120،121

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وتعبير إجتماعي للدين،أي إختزال الإنسان في بعد واحد،"تنتهي الأدلجة التي أنجزها شريعتي وحنفي إلى: دنيوية الدين بمعنى إهدار الطاقة الرمزية في الشعائر والطقوس والممارسات الدينية، وبالتالي إنهاك الدين وتفريغه من محتواه المعنوي إنّ المفاهيم الدينية في غاية الدقة، وإذا ما خرجت عن حدودها الخاصة فقدت قابلياتها وإمكاناتها " [1].تعطي لتاريخانية الإيديولوجية التي تحيل الى إيلية سياسية محضة.

لم يكن علي شريعتي وحسن حنفي وحيدين في دوعتهما وجهودهما لإختزال الدين في الإيديولوجيا بل كانت منذ الأفغاني،أدبيات الجماعة الإسلامية إلى يومنا تناظل من أجل تحقيق تأسيس دولة دينية، تدرك أن لا يتم إنجاز هذا الحلم إلى بأدلجة الدين والتراث .

النظر التجديدي للفكر الديني يعمل على إزالة التقليد والزيف الذي لازم التاريخ منذ قرون سابقة وهو نتيجة طبيعية للفجوة الأساسية فالإيديولوجيا إحدى صوره التي أنتجت "الإنفصال بين العقيدة والمعرفة،كما بين الدين والفلسفة وهو الإنفصال الذي كان قد تسبب ـ بإعتبار قوة سلبية،وبالتالي قوة عدمية ـ في إنهيار رؤية الإنسان الأنطولوجية،أنها نمط فكري يحاول أن يلبي في أن واحد، وضمن إطار إختزالي، طاقة النفس الترميزية ومتطلبات العقل وهكذا،فإن الإيديولوجيا،بإعتبارها اطارا بنيويا،تصبح فكرا إختزاليا مؤسسا على تصعيد الحياة الغريزية" [2]،فهذا المنظور يكشف عن أن للإيديولوجيا ثنائية النزعة بالمقارنة مع الفكر التقليدي فليس لها أي مقابل في النظام الأنطولوجي.

فالعقل الإيديولوجي ليس بخطاب عقلاني ولا هو بفلسفي ولا صوفي ولا هو عرفاني ولا هو بياني ولا كوني وإنما هو أداة لتبليد العقل وتشويهه؛فلا بد من التحرر من النزعة الإيديولوجية التي تنافي العلم الموضوعي والنزعة الإبستمية للعلم .

خاتمة:

الانزلاق من العدمية التراثية هو عمل على إزالة التقليد والزيف الذي لازم الديني والسياسي منذ قرون سابقة وهو نتيجة طبيعية للفجوة الأساسية، فالإيديولوجيا إحدى صوره التي أنتجت (الإنفصال بين العقيدة والمعرفة، كما بين الدين والفلسفة، وهو الإنفصال الذي كان قد تسبب ـ بإعتبار قوة سلبية، وبالتالي قوة عدمية ـ في إنهيار رؤية الإنسان الأنطولوجية، أنها نمط فكري يحاول أن يلبى في أن واحد، وضمن إطار إختزالي، طاقة النفس الترميزية ومتطلبات العقل وهكذا، فإن الإيديولوجيا،

[1] _ الجبار الرفاعي ،انقاذ النزعة الانسانية في الدين،المرجع السابق ,ص103.

[2] _ داريوش شايغان ،مالثورة الدينية،المرجع السابق،ص226.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

بإعتبارها إطارا بنيويا، تصبح فكرا إختزاليا مؤسسا على تصعيد الحياة الغريزية)، فهذا المنظور يكشف على أن للإيديولوجيا ثنائية النزعة بالمقارنة مع الفكر التقليدي، فليس لها أي مقابل في النظام الأنطولوجي.

فالعقل الإيديولوجي ليس بخطاب عقلاني ولا هو بفلسفي ولا صوفي ولا هو عرفاني ولا هو بياني ولا كوني وإنما هو أداة لتبليد العقل وتشويهه؛ فلا بد من التحرر من النزعة الإيديولوجية التي تنافي العلم الموضوعي والنزعة الإبستمية للعلم، التي تفرغ الفكر من محتواه الإيدويولجي السياسي والذاتي. وتمكين الانسان من بناء ذاته ومجتمعه على اساس عقلي بعيد عن كل تمثلات الايديولوجيا.

قائمة المراجع:

_ القرآن الكريم

_ يمنى طريف الخولي ،الطبيعيات في علم الكلام ،(من الماضي الى المستقبل)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995.

_عبد الجبار الرفاعي، الدين والإغتراب الميتافيزيقي ،مركز دراسات فلسفة الدين،بغداد ،ط 1 ،2018.

_ عبد الجبار الرفاعي،الدين والظما الانطولوجي، مركز دراسات فلسفة الدين، ط 3، بغداد، 2018.

_ عبد الجبار الرفاعي،علم الكلام الجديد، مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل الدين والعلم، دار الهادي لبنان، ط 1 ،2002.

_ عبد الجبار الرفاعي،انقاذ النزعة الانسانية في الدين مركز دراسات فلسفة الدين،دار التنوير،بغداد،ط 2 ،2013

تدهوندرتش دليل أكسفورد للفلسفة ،ترجمة نجيب الحصادي ،ج1،من أ الى ط, المكتب الوطني للبحث والتطوير ،ليبيا .(دون بيانات أخرى).

_ داريوش شايغان ،الانطولوجيا المهمشة ،مجلة قضايا اسلامية معاصرة ،العدد 26، مركز دراسات فلسفة الدين،بغداد ،2004.

_ مصطفى مليكيان ،التدين العقلاني، مجلة قضايا اسلامية معاصرة ،العدد 20 ، 21، مركز دراسات فلسفة الدين،بغداد ،2002.

_ عبد الجبار الرفاعي ،انقاذ النزعة الانسانية في الدين،مجلة قضايا اسلامية معاصرة ،العدد 35_36، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد،2008

_ عبد الجبار الرفاعي،علم الكلام والحياة الاخلاقية،صحيفة المثقف،،مؤسسة المثقف العربي،العدد 13،2018-02-4179

_ عبد الجبار الرفاعي،اختزال الدين في الايديولوجيا لاهوت التحرير عند علي شريعتي وحسن حنفي ،قضايا اسلامية معاصرة ،العدد 49_50. مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد،2012.

_ عبد الجبار الرفاعي ،لا خلاص الا بالخلاص من (تدين الدنيوي) واعادة الدين الى حقله الطبيعي،حوار مع عبد الجبار الرفاعي ،رحيل دندش، صحيفة حريات ،2018،2،24.

عبد الجبار الرفاعي ،حوار مع المفكر عبد الجبار الرفاعي ،صحيفة العالم الجديد، 5 اذار 2015.https://al-aalem.com/news/ أطلع عليه بتاريخ 2020/05/16.